الشعر العربي الصوفي لخواجة عبيدالله الملتاني دراسة تحليلية موضوعية

Khawaja Ubaidullah Multani's Sufi Arabic Poetry: An Analytical and Thematic Study

* ***Dr. Hafiz Mohammad Sarwar***

* Associate Professor, Department of Arabic, BZ University Multan.

KEYWORDS

Arabic Sufi poetry
Khawaja Ubaidullah Multani
Divine love
Mysticism
Spiritual discourse
Thematic analysis.

ABSTRACT

The poetry of Khawaja Ubaidullah Multani represents a significant dimension of Arabic Sufi literature, reflecting deep spiritual insights, mystical experiences, and philosophical reflections on divine love and human existence. His works, embedded within the broader Sufi poetic tradition, emphasize themes of devotion, inner purification, and the quest for divine truth. This study critically examines his poetry through an analytical and objective lens, exploring its thematic depth, stylistic features, and its contribution to Arabic Sufi literature. Given the increasing interest in Sufi studies and their impact on spiritual discourse, this research highlights the importance of Khawaja Ubaidullah Multani's poetic expressions in shaping mystical thought. The study employs a mixed methodology, incorporating textual analysis and thematic interpretation to uncover the deeper meanings within his poetry. The findings reveal a profound synthesis of Sufi philosophy and linguistic eloquence, demonstrating how his verses serve as a medium for spiritual enlightenment and ethical guidance. His poetry not only enriches Arabic literary traditions but also offers contemporary relevance in understanding the mystical dimensions of faith and self-realization.

التعارف

يُعَدُّ الشعر الصوفي من أبرز الفنون الأدبية التي جسدت التجربة الروحية والوجدانية لدى الشعراء، حيث عبَّروا من خلاله عن معاني الحب الإلهي والتأمل في الوجود والسعي نحو الكمال الروحي. ويُعدّ خواجة عبيد الله الملتاني أحد الشعراء الذين أسهموا في إثراء هذا اللون الأدبي، إذ تجلَّت في أشعاره معانٍ صوفية عميقة تُعبر عن حالته الروحية وفكره العرفاني. يهدف هذا البحث إلى دراسة وتحليل المضامين الصوفية في شعره، واستكشاف الأساليب اللغوية والجمالية التي استخدمها في التعبير عن تجربته الروحية، مما يسهم في إبراز مكانته في الأدب الصوفي العربي وتأثيره الفكري والروحي.

تأتي أهمية دراسة هذا البحث من كونها تسلط الضوء على القيم الروحية والفكرية في شعره، مما يساهم في فهم أعمق للتراث الصوفي. في عصرنا الحالي، حيث تزداد الحاجة إلى الخطاب الروحي المتوازن، يمكن لهذا البحث أن يعزز الوعي بأهمية التصوف في تهذيب النفس وبناء التسامح. كما يساعد في إبراز دور الشعر الصوفي في نشر الحكمة، وتعزيز التواصل بين الثقافات عبر القيم الإنسانية المشتركة.

أهداف البحث

- تحليل السمات الصوفية في شعر خواجة عبيد الله الملتاني والكشف عن مضامينه الروحية والفكرية.
- دراسة التأثيرات الدينية والفلسفية في شعره وتوضيح علاقته بالتصوف الإسلامي.

*Corresponding Author: *Dr. Hafiz Mohammad Sarwar*
Email Address: sarwar@bzu.edu.pk

- استكشاف الأساليب اللغوية والبلاغية المستخدمة في التعبير عن التجربة الصوفية.
- بيان أثر البيئة الثقافية والاجتماعية في تشكيل رؤيته الصوفية.

الدراسات السابقة

تناول العديد من الباحثين والمؤرخين تطور الشعر العربي في شبه القارة الهندية، مع التركيز على تأثير التصوف في الإنتاج الأدبي. ومن خلال دراسة الكتب الأدبية والتاريخية القديمة، يتبين أن الشعر العربي بدأ مع تفاعل الهند مع العالم العربي منذ وقت مبكر. كان هارون بن موسى الملتاني من أوائل الشعراء الذين نظموا الشعر العربي في ملتان، حيث وصفه الجاحظ بأنه من الشعراء المطبوعين، مما يشير إلى مدى إتقانه للعربية وتأثره بالاتجاهات الأدبية السائدة في عصره. (الجاحظ: "كتاب الحيوان" ، ص 75)

ويبرز اسم مسعود بن سعد سلمان اللاهوري كشاعر عربي وفارسي برع في كليهما، إذ تُظهر دواوينه المحفوظة في المكتبات الهندية براعته في النظم العربي إلى جانب الفارسي، مما يعكس تداخل الثقافتين وتأثير الشعر الصوفي في تلك الفترة. كما يعد أبو عطاء السندي من أقدم شعراء العربية في الهند، وقد برز بمدحه لبني أمية وبني هاشم، ويُذكر شعره في مصادر أدبية مثل البيان والتبيين للجاحظ والأغاني للأصفهاني. وهذا يشير إلى أن الهند كانت بيئة خصبة للإنتاج الشعري العربي، بما في ذلك الشعر الصوفي. (الندوي: "المدائح النبوية في الهند" ، ص 151.)

أما القاضي عبد المقتدر الكندي الدهلوي فقد برع في الشعر العربي، مما يدل على استمرار هذا التقليد في الأوساط العلمية الهندية. ومن أبرز الشعراء الذين لقّبوا بـ"حسان الهند" كان غلام علي آزاد البلكرامي، الذي تميز بقدرته على محاكاة الشعراء العرب الكبار، مما يعكس ارتباط الشعر العربي في الهند، وخاصة في ملتان، بالأساليب الصوفية والروحانية. (عبد الحي الحسني: "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر" ، ج 7 ص 185.)

تظهر هذه الدراسات أن الشعر الصوفي العربي في الهند، وخصوصًا في ملتان، تأثر بالعوامل الثقافية والتاريخية، مما يعزز أهمية دراسة شعر خواجة عبيد الله الملتاني ضمن هذا السياق للكشف عن ملامح التصوف في أدبه.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهجين الكمي والنوعي لتحقيق دراسة شاملة لشعر خواجة عبيد الله الملتاني الصوفي. في المنهج النوعي، يتم تحليل النصوص الشعرية من خلال المنهج التحليلي الموضوعي، حيث تُدرس المضامين الصوفية والأساليب الفنية، مع الاستفادة من آراء النقاد والمتصوفة. أما المنهج الكمي، فيُستخدم لإحصاء تكرار المفاهيم الصوفية والمصطلحات الروحية في أشعاره، مما يساعد على فهم مدى تأثير الفكر الصوفي في نصوصه. يتم جمع البيانات من المصادر الشعرية الأصلية، بالإضافة إلى الدراسات النقدية المتعلقة بالتصوف، مما يوفر رؤية متكاملة تجمع بين التحليل الأدبي والإحصاء اللغوي لإبراز الخصائص الصوفية في شعره.

انتشار اللغة العربية والأدب العربي في ملتان

ولا شك أن مناطق السند و الملتان هي أقدم المناطق في شبه القارة الهندية التي سادت عليها اللغة العربية كلغة رسمية لأربعة قرون بدأت من فتح مكران، وقلات وغيرهما من مناطق بلوشستان في زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان وضي الله عنهما. وذكر الدكتور إحسان الحقي: هجم القائد العظيم محمد بن القاسم على أرض السند في عصر الخلافة الأموية سنة 92هـ/ 712م، واستولى على السند. ثم سار متقدماً في البلاد مدة ثلاث سنوات حتى بلغ حدود كشمير وإمارة قنوج.

وهاجم محمد بن القاسم السند في عام 714م، كان راجه داهر حاكمها، بينما كان ابن أخيه يحكم الملتان، وعندما دخلها العرب لم يكسروا معبدها الكبير.تولّى داؤد بن وليد العماني حكم الملتان من قبل ابن القاسم في نفس العام، ولم يُذكر الإقليم بوضوح في المصادر العربية حتى عام 151هـ عندما حاول هشام بن عمرو التغلبي إعادة توحيد السند والملتان لكنه انسحب لاحقًا.(البهتي: "الثقافة العربية في باكستان" ، ص: 104). في عام 290هـ، ذكر ابن رسته أن "بني سامة" أو "بنو منبه" أصبحوا حكام الملتان. (ابن رسته: "كتاب الأعلاق النفيسة"، ص: 135) ثم أشار المقدسي في 375هـ إلى أن حكامها أصبحوا من الشيعة. أسس جلم بن شيبان دولة شيعية هناك باسم الخليفة الفاطمي المعز لدين الله، وأمر بالدعاء له في المساجد بعد إزالته الدولة السنية. (بعده، تولى حفيده داؤد بن نصر بن حميد الحكم عام 395هـ، وفي 387هـ تولى محمود الغزنوي حكم غزنة بعد وفاة والده سبكتكين.(الطرازي: "موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب"، ج: 1، ص: 311)

"كانت اللغة العربية اللغة الرسمية في الدواوين الحكومية في العديد من البلدان التي فتحها المسلمون خلال العصرين الأموي والعباسي، مما أدى إلى تشجيع السكان المحليين، وخاصة الطبقة الحاكمة التي تعاونت مع العرب في شؤون الحكم والإدارة، على تعلمها. كما ازداد اهتمام سكان السند بتعلم العربية بعد دخولهم الإسلام، وذلك لحاجتهم إلى فهم تعاليم الدين الإسلامي. إضافة إلى ذلك، ساهم اندماجهم مع العرب في مختلف المجالات مثل الإدارة، والجيش، والصناعة، والزراعة في تعزيز استخدام اللغة العربية بينهم. وبمرور الوقت، انتشر تعليم اللغة العربية بين أهل السند والملتان، رغم استمرار اللغات المحلية في الاستخدام اليومي"(الطرازي: "موسوعة التأريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب"، ص: 21)

في العصر الأموي، كانت معرفة اللغة العربية في بلاد السند والملتان مقتصرة على الطبقة الحاكمة والزعماء والأعيان الذين تعاونوا مع العرب في إدارة شؤون البلاد، بالإضافة إلى فئة المثقفين والموظفين. أما عامة الشعب، فلم تكن لديهم دراية واسعة باللغة العربية في تلك الفترة. ومع ذلك، شهد العصر العباسي توسعًا ملحوظًا في انتشار العربية، خاصة بعد استقرار الأوضاع الإدارية، وإنشاء العرب مدنًا ومساكن جديدة، وزيادة أعداد العلماء العرب والعلماء المحليين

الملمين بالعربية. كما ساهم دخول الكثير من أهل السند والملتان في الإسلام ودراستهم للعلوم الإسلامية في تعزيز انتشار العربية. إلى جانب ذلك، بذل بعض المفكرين العرب جهودًا كبيرة في تعليم العربية ونشرها بين سكان المنطقة، إيمانًا منهم بأهميتها. وقد شارك في هذه المهمة علماء الدين واللغة، والقضاة، وكذلك المترجمون المتقنون للعربية والسندية، حيث أقاموا مجالس علمية لتعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية، مما أسهم في تعزيز وجودها وانتشارها في بلاد السند والملتان.(الطرازي، ص43)

خلال الفتوحات العربية في بلاد السند والملتان، ظهر أدب عربي شعري احتفظت به بعض كتب الأدب والتاريخ. ومن بين أبرز الشعراء الذين ارتبطت أسماؤهم بهذه الفترة، هارون بن موسى بن عبد الله الملتاني الأزدي، المعروف بلقب "شاعر الملتان". يُقال إنه كان مولى لبني الأزد، وينحدر أصله من العرب، حيث جاء جده إلى الملتان منذ زمن بعيد خلال الفتوحات الإسلامية. وُلِد هارون ونشأ في الملتان، ليصبح لاحقًا شاعرًا بارزًا عُرِف بشعره المتميز.(الطرازي، ص 47 ، 48)

الخواجة محمد عبيد الله الملتاني

الخواجة محمد عبيد الله الملتاني كان من سَيائِد الصُّوفيةِ وأعْيانِ التصوّف وأعلام الأولياء ومشاهير الأَصفِياءِ وأُهرِعِ إليه أهلُ السلوكِ والعرفانِ من كل فج عميق. وكان عالمِا نِحريرًا في المعقول والمنقول منثوراً وموزوناً، ومفسِّرًا للقرآن وشارحًا للسنَّة، وله مكانةٌ مرموقةٌ في التحقيق والتدقيق والتوثيق كما أنَّه يُعدُّ أصوليًّا عظيمًا، وفقيهًا كبيرًا ومجتهدًا بارعًا. وكانت تُردّ عليه الأسئلةُ من البلاد البعيدة عند اختلاف الآراء في الفتاوى والقضايا الفقهية. وكان مُكرّماً لأصحاب الدين والسنة، ومُبغضاً لأهل الهَوى والبِدْعِ، ومولعاً لسالكي الحق والصفاء. وكان له ملكةٌ بالغةٌ في إرشادِ الخلق من المعصية إلى الطاعة ومن النفسانية إلى الروحانية وصِقَالِ رَينِ قلوبِهم وجِلاءِ صَدْئِها. والآن ضريحه مرجعٌ للخواص والعوام و بركةٌ عن ربِّه ذي الجلال.

كان اسمه محمد عبيد الله، وقد عُرف بالعديد من الألقاب التي تعكس مكانته الروحية وعمق إيمانه، منها: "محبوب الإله"، و"فاني في الله"، و"باقي بالله"، و"مظهر كلمات الحق". تعكس هذه الألقاب سمو مقامه في التصوف وارتباطه العميق بالحقائق الإلهية، حيث كان مثالًا للزهد والتقوى، مما جعله محل تقدير وإجلال بين أتباعه ومحبيه.(محمد عادل ،ج: 1، ص: 47 ، 48) يعود نسب الخواجة عبيد الله الملتاني إلى سلالة كريمة، حيث هو محمد عبيد الله بن محمد قدوة الله بن محمد صالح بن محمد داؤد بن يار محمد بن گل محمد بن محمد عبد القدوس بن محمد عبد الحق بن خدا بخش بن محمد عبد الغفور. ينتمي إلى عائلة عُرفت بالعلم والصلاح، وكان لأجداده دور بارز في نشر المعرفة والإرشاد، مما أكسبهم مكانة رفيعة بين أهل زمانهم.(محمد عادل،ج: 1،ص: 47 ، 48) وجدنا اختلافًا في سنة ولادة الخواجة عبيد الله الملتاني، فقمنا بمراجعة المصادر والبحث في المراجع المختلفة للتحقق من هذا التفاوت. بعد دراسة دقيقة

للأدلة المتوفرة، توصلنا إلى أن تاريخ ولادته يعود إلى سنة 1219هـ / 1804م، وذلك داخل بوّابة بوهر في مدينة ملتان. يعكس هذا البحث الدقيق حرصنا على توثيق سيرته بدقة اعتمادًا على المصادر الموثوقة .(عبيد الله الملتاني: "سرِّدلبران" ص: 47)

دراسته

نشأ الخواجة عبيد الله الملتاني في أسرة تقية عُرفت بالصلاح والاستقامة، حيث تربّى في بيئة علمية زاخرة بالمعرفة والدين. تلقى تعليمه في أجواء مفعمة بالعلم والإيمان، مما أسهم في تكوين شخصيته الفكرية والروحية. وقد انعكست هذه النشأة المباركة على مسيرته، حيث كرّس حياته لنشر العلم والهداية، وأصبح من الشخصيات البارزة في مجتمعه .(نور أحمد الفريدي: "تاريخ ملتان" ، ج: 2 ، ص: 226) قد تعلّم الدراسة الابتدائية في مهد أمه الكريمة ، فتنشّم الأخلاق الطيبة والعادات الجميلة من عنايتها الحنونة. ثم تلقّى دروساً من العلوم الإسلامية والفنون العربية على أبيه الكريم كما ذكر الحسني: "وقرأ العلم على والده الخواجة محمد قدوة الله" (الفريدي: "تاريخ ملتان" ، ج: 2 ، ص: 226)، وعلّم ابنه العلومَ المختلفةَ بالعناية الأبوية وحفِظ القرآن الكريم في صغر سنِّه جيّدًا وأتقن فيه. فرَبّى ابنه تربيةً خالصةً فى بيئةٍ دينيةٍ، فكفله حق كفالته وأنبته نباتا حسنا. ثم عَلِقَ أباه أَسْبَابُ الْمَنِيَّة وَانْصَرَفَ إِلَى دارِ البقاء، سَقَى اللهُ ثَرَاه بالسحاب الثِّقال.

وأكبّ الخواجة عبيد الله الملتاني على مجمعِ الشريعة والطريقة "الخواجة خدا بخش الملتاني ثم الخيربوري" فقضى سنوات من عنفوان شبابِه في خدمة شيخه، وتنشّم منه العلومَ الإسلاميةَ والفنونَ العربيةَ، وجاهد مجاهدةً لطلب العلم وكسب المعارف حتى تيسرله فهمُ الأحكام وصارت مسائلُ العلوم منكشفةً عليه وظلت حقائقُها مفهومةً لديه، فأصبَحَ مِنْ أعْيانِ العلماء وأعْوانِهم.

وقد ورد في مراجع أن الخواجة عبيد الله الملتاني اكتسب من الشيخ علي مردان الأويسي بعضًا من العلومِ الإسلاميةِ والفنونِ العربيةِ.وكذلك اكتسب الشيخ الملتاني من العلماء الأفاضل فى عصره، ومن علماء العرب أيضًا، منهم إنه كان رجلاً وقوراً متواضعاً فأكمل الشيخ دراسات العلوم النقلية والعقلية حسب المقرّرات المتداولة فى تلك الأيام في خدمة أخيه.

فأَلْبَسَه خرقةَ الخلافة حسب الطريقةِ المتداولةِ من الصوفية، و وَارتَدَى بالقرآنِ الْكريمِ وتَقَمّصَ بِسنة رسولهﷺ، واستَحْمَدَوا ظمأَهُم عن مَناهِلِه الروحانيةِ والأدبيةِ، وكان وحيدَ عصرِه وفذَّ دهرِه في السلوك والعرفان، وكذلك كان إماماً في الزهد والورع وعارفاً وحيداً في زمنه بأرض ملتان. الشيخ الصالح عبيد الله بن قدرة الله الحنفي الملتاني أحد المشايخ الجشتية، ولد ونشأ بالملتان وقرأ العلم على والده، ثم أخذ عن المولوي كل محمد وقرأ عليه سائر الكتب الدرسية، ودرس وأفاد مدة طويلة بمدينة الملتان، ثم أخذ الطريقة عن الشيخ خدا بخش الخير بوري وتولى الشياخة بعده، أخذ عنه خلق

كثير من العلماء والمشايخ، وكان شيخاً جليلاً مهاباً رفيع القدر كبير المنزلة عظيم الورع والعزيمة، له مصنفات عديدة. (الحسني: نزهة الخواطر ، ج: 8 ، ص: 301.)

مؤلفاته

تميز خواجة عبيد الله الملتاني بموسوعية علمية فريدة، انعكست في مؤلفاته المتنوعة التي تناولت مختلف مجالات العلوم الإسلامية، من التفسير والحديث والفقه إلى التصوف والأدب. وقد اتسمت كتاباته بالعمق والتحليل الدقيق، مستندةً إلى منهج علمي رصين يجمع بين النقل والعقل. لم تقتصر جهوده على التأليف فحسب، بل سعى إلى توجيه طلاب العلم وإرشادهم من خلال رسائله ومؤلفاته التي تعالج قضايا فكرية وفقهية معاصرة. وتُظهر أعماله اهتمامًا بالغًا بالتصوف، حيث قدم شروحًا وتعليقات على نصوص صوفية رفيعة المستوى. وفيما يلي قائمة بأبرز مؤلفاته التي تبرز إسهاماته العميقة في الفكر الإسلامي.

1. تفسير القران الكريم 2. دلائل الإيمان في الهداية والإيقان 3. تفسير قاب قوسين 4. تلخيص البيان في نبذة من علامات المهدي آخر الزمان 5. سلسله نسب فخر العجم والعرب 6. فتح العبيد 7. رد الضالّين 8. رد الوهابية (كبير) 9. رد الوهابية (صغير) 10. تحقيق مسائل مختلفة بين الوهابية وأهل السنة 11. فقيه التقليد وبطلان القول الجديد 12. رد الإنكار على حلق الرأس 13. تعليم الصبيان 14. تعليم النساء 15. أوراد تمام سال وأدعية 16. قول فصل في البيعة والسماع وشرح مفصل 17. لزوم حسن ظن برسخن هائ مقبولان ذي المنن 18. أصول حافظية 19. ذوقيه شريف 20. حكمه وفائده نسيان 21. هداية الطلاب 22. ضغث مضروب 23. تعيين أوقات الصلوات الخمس 24. مسفار الحج 25. رساله الغنىٰ والفقر 26. مذاهب الأولياء في قبول الهدايا 27. سرّ دلبران 28. تحقيق الآداب 29. تحقيق أسماء شهور قمرية 30. وفيات الأعيان 31. سير السماء رياضى 32. رفيقية شرح التوفيقية 33. رسالة الدخان 34. رساله در منطق 35. ادعيه قرآني برائ خيريت دوجهانى 36. رسالة في التصوف 37. إلهام الصواب 38. إعانة المريدين في رد الشياطين والمعاندين 39. وصايا عبيدية الموسومة به دفع الفساد والجدال 40. شرح أشعار الشيخ علي حيدر رحمه الله تعالى 41. شرح أشعار خواجه حافظ شيرازي رحمه الله تعالى 42. شراب طهور 43. آداب المريدين 44. منظومة سلسلة عالية 45. قصائد عبيدية 46. ذكر لطائف 47. مثنوي عبيدية (كبير) 48. مثنوي عبيدية (صغير) 49. تهذيب وترصيف أبيات علم ميراث 50. ديوان چراغ عبيدية المعروف به داستان معرفت 51. رسالة النحو 52. رسالة ملائية 53. توفيقيه هندى 54. عيوب النفس 55. تحفه زنان 56. سى حرفى در معرفت. (محمد عادل، ج: 1 ص، ص: 255 - 379.)

رحيله إلى دار البقاء

يُروى عن الشيخ عبيد الله الملّتانيّ رحمه الله أنّ أحد مريديه شاهده ذات يوم يعدّ مبلغًا من المال، فاستغرب ذلك، إذ كان الشيخ معروفًا بزُهده وابتعاده عن متاع الدنيا. فتقدّم إليه المريد باحترامٍ وسأله: "يا سيّدي، لقد عُرفتم بالزهد والورع، فما سبب اهتمامكم بهذا المال اليوم؟" فأجابه الشيخ بابتسامةٍ هادئة: "هذا المال قد خصّصته لكفني، فأنا أحبّ أن يكون تكفيني من مالي الخاص." ثم أوصى أحد مريديه المقرّبين بأن يكون على طهارة ويقوم بغزل قطنٍ نقيّ، ليُصنع منه خيطٌ استُخدم في حياكة كفنه. وبعد ذلك، قدّم المال لابنه قائلاً: "اجعلوا هذا المال لتجهيزي ودفني." ومع تقدّم الأيام، اشتدّ عليه المرض، فكان يؤدي الفرائض قائمًا، أمّا السنن والنوافل فكان يصليها جالسًا. وتفاقمت حالته الصحية تدريجيًّا، حتى حان وقت لقائه بربّه عزّ وجلّ. إنّ هذه الحادثة تعبّر عن زهد الشيخ واستعداده للآخرة، وهي تذكيرٌ لكلّ إنسانٍ بحقيقة الدنيا وضرورة الاستعداد ليوم الرحيل. (محمد عادل، ج: 1 ص، 386.)

توفي الشيخ خواجة عبيد الله الملتاني يوم الجمعة، السادس من جمادى الأولى عام 1305هـ، الموافق 20 يناير 1888م، في مدينة ملتان. كان عالمًا جليلًا ومصلحًا بارزًا، حيث كرّس حياته لنشر العلم وتعليم الناس، مما جعله يحظى بمكانة رفيعة بين طلابه وأتباعه. ترك خلفه إرثًا علميًا وروحيًا أثرى به المجتمع، وكان له دور كبير في نشر القيم الإسلامية وتعزيز المعرفة. استمر تأثيره حتى بعد وفاته من خلال مؤلفاته وتلاميذه الذين واصلوا نشر علمه. بقي اسمه خالدًا في الذاكرة بفضل جهوده وإسهاماته في خدمة الدين والعلم.(نزهة الخواطر ، ج: 8 ، ص: 301)

شعر خواجه عبيد الله الملتاني

خواجة عبيد الله ملتاني كان عالمًا دينيًا مرموقًا، وصوفيًا جليلًا، وشاعرًا متمكنًا من اللغة العربية التقليدية. كان شعره ينبض بروح التصوف، ومحبّة النبي ﷺ، وطاعة الله، والتزكية الروحية، مما جعله وسيلة فعّالة لنشر التعاليم الصوفية وإيقاظ محبّة الله ورسوله ﷺ في القلوب. لم يكن شعره مجرد تعبير أدبي، بل كان انعكاسًا لعقيدته وإيمانه العميق، حيث حمل رسائل إصلاحية وروحية تعكس جوهر الفكر الصوفي وأبعاده الروحانية.

تجلّت في أشعاره مفاهيم القرآن الكريم والحديث الشريف بوضوح، مما يبرهن على عمق معرفته الدينية وبصيرته الروحية. فقد كان متأثرًا بأفكار الشعراء الصوفيين الذين سبقوه، لكنه لم يكن مجرد مقلد لهم، بل أضفى على أشعاره طابعًا خاصًا مستمدًا من تجاربه الروحية وممارساته الصوفية الفريدة. ومن خلال شعره، عبّر عن معاني الحب الإلهي، والشوق إلى القرب من الله، والتسليم المطلق لمشيئته، إلى جانب الحث على التحلي بالأخلاق الفاضلة والسير في طريق التزكية والسمو الروحي.

ورغم أن أسلوبه الشعري يختلف إلى حد ما عن الطابع التقليدي للشعر العربي، الذي يتميز بالعفوية والقدرة التلقائية على النظم، إلا أن كلماته حملت في طياتها عمقًا فكريًا، ومشاعر صوفية جياشة، وتعاليم دينية مستمدة من جوهر العقيدة الإسلامية. لم يكن شعره مجرد تدفق عاطفي، بل كان نتاج اجتهاد ودراسة وتأمل فكري وروحي، مما

ساهم في تطوير أسلوبه وصقل تجربته الأدبية. لقد جعل من الشعر وسيلة لنقل تعاليم التصوف والفكر الإسلامي، مقدمًا صورة متكاملة للتجربة الروحية التي يخوضها السالك في طريق القرب من الله. ويُعدّ خواجة عبيد الله ملتاني من بين أبرز الشعراء العرب الذين عُرفوا في ملتان، ولا يزال شعره حتى اليوم مصدرًا قيّمًا للباحثين وطلاب الأدب الصوفي والعلوم الإسلامية. فقد امتازت قصائده بالحلاوة الروحية، والعمق الفكري، والبعد الإصلاحي، مما جعله شخصية أدبية متفردة في عصره. لم يكن مجرد شاعر تقليدي، بل كان صاحب رؤية روحية تسعى إلى تهذيب النفوس ورفع الهمم نحو معارج السمو الروحي والصفاء القلبي، مما جعل إرثه الأدبي ذا قيمة لا تزال تتجدد مع الزمن.

تناولت أشعاره الثناء على الله ومشيئته، حيث عبّر ببلاغة عن عظمة الله وأحكامه الحكيمة، مؤكدًا أن كل ما يجري في الكون هو من تدبيره سبحانه وتعالى. كما كان للقرآن الكريم حضور بارز في قصائده، حيث صوّره على أنه المعجزة الخالدة والهداية الكبرى للبشرية. ومن أهم المواضيع التي طرقها في شعره، الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، حيث رفع ذكر النبي ﷺ وبيّن وجوب تعظيمه يقينًا. كذلك، أشار إلى الفوائد العظيمة لذكر النبي ﷺ، وأثره في حياة المسلمين، مع تسليط الضوء على ثمرات حب الرسول ﷺ ونتائجه الروحية العميقة.

لم تخلُ قصائده من الحديث عن فوائد شفاعة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، حيث بيّن أهمية التعلق به ﷺ والاستغاثة به في الأوقات العصيبة، مؤكدًا على نداء النبي ﷺ واستغاثة الصالحين به عبر العصور. كما قدّم ردودًا قوية على منكري جمال النبي ﷺ، وأثبت تفرده بروحه وجسده ومقامه العالي، مفحمًا المنكرين بآيات من الجمال النبوي التي لا تُضاهى. وتناول أيضًا محبة الصحابة للنبي ﷺ وتعظيمهم له، مدللًا بذلك على المكانة الرفيعة التي حظي بها في قلوبهم.

ومن الجوانب الروحية التي تناولها في شعره، رؤية الرسول ﷺ في المنام، والتي وصفها بأنها من المبشرات التي تدل على حب النبي ﷺ. لكنه في ذات الوقت، شدّد على النهي عن عبادة القبور والغلو في مدحه ﷺ، موضحًا أن حبه ﷺ ينبغي أن يكون في إطار العقيدة الصحيحة دون تجاوزات. كما أكّد مكانة النبي ﷺ وكونه المطلوب والمقصود في الدنيا والآخرة، باعتباره الرحمة المهداة للبشرية. ومن المواضيع التي أضاءها في شعره، نور ليلة البراءة وسيرة الأبرار، حيث عبّر عن أهمية هذه الليلة وما تنطوي عليه من معاني التوبة والرحمة والمغفرة، مشيرًا إلى سير الصالحين الذين جعلوا من حياتهم نموذجًا للطاعة والتقوى.

موضوعات شعره

الثناء على الله ومشيئته

أَحْمَدُ اللهَ الَّذِيْ أَجْرَى بِالْقَلَمِ أَخْرَجَ الْمَخْلُوْقَ عَنْ كَتْمِ الْعَدَمِ
مِنْهُمْ مُؤْمِنٌ وَ مِنْهُمْ كَافِرٌ لَوْ يَشَاءُ اللهِ لَاتَّفَقَ الْأُمَمُ

(عبيد الله: "داستان معرفت" (مخطوط)، ص: 2)

يبين الشاعر في هذه الأبيات عظمة الله تعالى ومشيئته المطلقة في خلق المخلوقات وتدبير شؤون الكون، فهو الذي أخرج الكائنات من العدم إلى الوجود بحكمته، مصورًا بذلك سنّة التقدير الإلهي. ويحمد الله تعالى الذي أنشأ الخلق من العدم، كما قال في كتابه الكريم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾(سورة يس: 79). ويشير الشاعر إلى أن الله هو الذي قسم الناس بين مؤمن وكافر، وفق مشيئته وحكمته، مستندًا إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُمْ مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(سورة التغابن: 2). كما يؤكد أن الله لو شاء لجعل جميع الأمم أمة واحدة، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(سورة المائدة: 48)، مما يدل على أن التعدد والاختلاف بين البشر لحكمة إلهية. وبهذا يعبر الشاعر عن الثناء على الله من خلال إبراز قدرته وحكمته في تصريف أمور الكون.

القرآن معجزة وهداية

أَنْـزَلَ الْـقُـرْآنَ قَـوْلاً مُـعْـجِـزاً عَـنْ مُـعَارَضَـتِـنَا وَأَتَتِ الْـهِـمَمُ
أَعْـجَزَ الْبُلَـغَاءَ طُـرًّا نَظْـمُهُ أَفْـصَحُ الْأَعْـرَابِ كُـلاًّ وَالْعَجَـمِ
فِـيْهِ آيَاتٌ مَـفَاتِـيْحُ الْـهُـدَى لِلْمُـنِيْبِ التَّائِبِ الْعَالِي الْقِدَمِ
لِلْمَـعَـادِيْنِ مَـغَالِـيْقِ الـضَّـلاَلِ لِلْمُحِبِّيْنَ مَـصَـابِيْحِ الـظُّـلَـمِ
نَازِلاً مِـنْهُ عَـلَى قَـلْـبِ الرَّسُوْلِ مَـعْدِنُ الْإِيْـمَانِ يَـنْبُـوْعُ الْكَرَمِ
سَـلِّمِ اللّٰـهُـمَّ وَارْحَـمْ رُوْحَـــهُ إِنَّـهُ خَـيْرُ الـرَّسُـوْلِ الْـمُحْـتَـرَمِ

(عبيد الله: "داستان معرفت" (مخطوط)، ص: 2)

يبين الشاعر في أبياته إعجاز القرآن الكريم وهدايته للبشرية، مشيرًا إلى أنه كلام معجز لا يمكن للبشر معارضته رغم محاولاتهم، كما قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾(سورة الإسراء: 88). وقد أعجز القرآنُ البلغاءَ والفصحاء من العرب والعجم، مما يدل على تفرده في البيان. كما يوضح الشاعر دور القرآن في هداية البشر، إذ يحتوي على آيات هي مفاتيح الهداية لمن يتوب وينيب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الإسراء: 9). وهو كذلك نور للمؤمنين ومصابيح تضيء طريق الحق، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا إِلَيْكَ النُّورَ الْمُبِينَ﴾(سورة النساء: 174). فبهذا يؤكد الشاعر أن القرآن معجزة باقية تهدي البشر في ظلمات الجهل والضلال. ويقول الشاعر ويصفه بأنه نزل من الله على قلب الرسول ﷺ، مما يجعله مصدر الإيمان والعطاء. وهذا يتوافق مع قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (سورة الطارق: 13-14)، مما يدل على أنه كتاب حق لا يأتيه الباطل. كما أشار القرآن إلى دوره في الهداية بقوله: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ (سورة الإسراء: 9)، مما يثبت أنه نورٌ للبشرية في دروب الحياة. ويؤكد الشاعر مكانة الرسول ﷺ، داعيًا له بالرحمة، فهو

الذي تلقى هذا الوحي العظيم وبلّغه للناس، كما جاء في الحديث: "خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ" (صحيح البخاري ،كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ، رقم الحديث 5027). وهذا يبرز عظمة القرآن في التأثير على القلوب وإرشادها إلى الخير والحق.

الصلوة والسلام على الرسول

اَلصَّلَـوةُ عَلَيْكَ يَا خَـيْرَ الْوَرَى اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَاخَيْرَ الْخَـدَمِ
اَلصَّلَـوةُ عَلَيْكَ يَا خَـيْرَ الْبَشَرِ اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ يَاأَهْـلَ الْحَشَمِ
اَلسَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّـهَـا النَّبِـيُّ مَـنْ يُعَادِيْكَ عَـدَّاءٌ فَـانْـعَـدَمِ

(محمد عادل، ج: 1 ، ص 357)

يعبّر الشاعر في أبياته عن الصلاة والسلام على النبي ﷺ ومدحه بأسمى العبارات، مبينًا مكانته العظيمة بين الخلق. فالصلاة على النبي ﷺ جاءت في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(سورة الأحزاب: 56)، مما يدل على أن الصلاة والسلام عليه ﷺ أمر إلهي ووسيلة لنيل الرحمة. كما جاء في الحديث الشريف: "من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرًا"(سنن الدارمي" ، رقم الحديث 2772) مما يؤكد فضل الصلاة عليه ﷺ. أما مدحه، فقد كان نهج الصحابة والشعراء على مر العصور، كما قال كعب بن زهير في بردته: وإنك لمولودٌ بُشِّرَتْ بِهِ الأنامُ، مما يظهر مكانة النبي ﷺ وفضله على البشرية. وتُظهر الأبيات مدى تعظيم الشاعر للنبي ﷺ، حيث يصفه بأنه "خير الورى" و"خير البشر"، وهو ما تؤكده النصوص الشرعية، مثل قوله ﷺ: "أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ"("مسند الإمام أحمد بن حنبل" ، رقم الحديث 10987،) . ومن هنا، فإن هذه الأبيات تعكس محبة النبي ﷺ والاعتراف بفضله وشفاعته، وهو ما أكدت عليه الشريعة الإسلامية.

وجوب مخاطبة النبي ﷺ ورفع ذكره يقينًا

يَا رَسُـوْلَ اللهِ خَاطَبَكَ الْإِلَـهُ رَفَعَ ذِكْرَكَ فِي الْخَلاَئِقِ فَانْتَظَمِ
ثُمَّ أَوْجَبَ أَنْ نُخَاطِبَكَ الْخِطَابَ فِي الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ وَ احْتَكَمِ
قَالَ فِي الْقُرْآنِ وَ أَقِيْمُوْا الصَّلَوةَ وَاقْـرَءُوْا مِمَّـا تَيَسَّرُوْا الْقَـلَمِ
ثُمَّ نَادَى لَكَ الْإِلَـهُ نِـدَاءَهُ فِي الْكِتَابِ وَبِالْمُخَاطَبَةِ اِحْتَرَمِ
صَارَ فَرْداً دَائِماً هَذَا النِّدَاءُ لَيْسَ شَكٌّ فِيْهِ إِلاَّ وَاصْطَلَـمِ

(محمد عادل: "عبادالرحمان" ، ج: 1 ، ص 357)

يبين الشاعر في أبياته وجوب مخاطبة النبي ﷺ ورفع ذكره في القرآن الكريم، حيث أشار إلى أن الله تعالى رفع شأنه بين الخلائق، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(سورة الشرح: 4). وأكد على أن ذكر النبي ﷺ

واجب في العبادات، حيث أمرنا الله بذكره في الصلاة كما في التشهد والصلاة الإبراهيمية. وأوضح أن الله خاطب نبيه ﷺ مباشرة في القرآن الكريم بصيغة النداء في آيات كثيرة، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(سورة الأحزاب: 45). وهذا النداء الموجه إليه ﷺ جاء تكريمًا وتخصيصًا، بخلاف سائر الأنبياء الذين خوطبوا بأسمائهم. كما أن العلماء أكدوا أن رفع ذكر النبي ﷺ يشمل ذكره في الأذان، الإقامة، والخطب، مما يدل على استمرارية هذا التشريف في الأمة إلى يوم القيامة.

فوائد عظيمة لذكر النبي ﷺ

يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ نَـافِــعٌ بَلْ شِفَـاءٌ فِـيْهُ مِـنْ كُلِّ الـسَّقِـمِ
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ مُــوْنِسٌ مِنْ مُـخَائِفٍ وَالْـحَوَادِثِ وَالْأَلَمِ
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ وَاجِــبٌ فِي الصَّلَوةِ وَفِي الدُّعَاءِ الْمُلْتَزَمِ
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ كَـافِـلٌ بِالثَّوَابِ وَبِالنَّـعِيْمِ وَ بِالـنِّعَـمِ
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ مُـنْـقِـذٌ مِنْ عَـذَابِ الـنَّارِ بَلْ كُلِّ النِّقَـمِ
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ صَيْقَلٌ لِلنُّفُـوْسِ مِنَ الْخَــطَايَا وَالظُّلَمِ
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ مُــوْرِثٌ حــبّ من بيمـينه انقلب القلم
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ جَالِبٌ عـشقَ حـيٍّ لا يـنام و لـم يـنم
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ فَرِحُـنَـا عن هـمـوم العيش و الـنـــدم
يَا رَسُــوْل اللهِ ذِكْــرُكَ حَسْبُنَا عـن ريـاحيـن وأنـواع الـنـعـم

(محمد عادل، ج: 1 ، ص 357)

يُبرز الشاعر في أبياته فوائد عظيمة لذكر النبي ﷺ، مبينًا أثره العميق على القلوب والنفوس. فالذكر شفاء للأمراض والآلام، كما قال الله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾(سورة الإسراء:)، كما أن ذكره مؤنس في المخاوف، إذ يقول الله: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾(سورة الرعد: 2)، وذكر الحبيب المصطفى ﷺ من أعظم الذكر الذي يزيل الأحزان. كذلك، يُعد ذكره ﷺ واجبًا في العبادات، فهو جزء من التشهد في الصلاة، حيث أمرنا الله بالصلاة عليه بقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(سورة الأحزاب: 56).

ويؤكد الشاعر أن ذكره ﷺ سببٌ للثواب والنعيم، فقد قال النبي ﷺ: "من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه بها عشرًا" ("سنن الدارمي"، باب في فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم، رقم الحديث 2772)، مما يدل

على أن هذا الذكر يجلب البركات. كما أنه منقذ من العذاب والنقم، حيث ورد في الحديث: "أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ , أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً" (مسند ابن أبي شيبة" ، ج 1 ، ص 207).

ومن ثمرات الذكر أيضًا أنه يُورث المحبة والعشق الصادق، إذ قال النبي ﷺ: "المرء مع من أحب"("سنن أبي داؤد"، 4، باب إِخْبَارِ الرَّجُلِ الرَّجُلَ بِمَحَبَّتِهِ إِيَّاهُ، رقم الحديث 5129)، فبذكره يزداد حبّه ﷺ في القلب. كما أنه يجلب العشق الروحاني والفرح، فقد قال الصحابة: "كان النبي إذا دخل فرحنا به وكأن وجوهنا أشرقت". بالإضافة إلى ذلك، فإن ذكره ﷺ يغني القلب عن النعيم الدنيوي، لأن محبته أغلى من كل شيء، كما جاء في الحديث: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين" (صحيح البخاري" بَاب حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْإِيمَانِ، رقم الحديث 15).

وهكذا، يُظهر الشاعر في أبياته كيف أن ذكر النبي ﷺ يحمل من الفوائد ما يُنعش الأرواح، ويمسح الهموم، ويضمن النعيم في الدنيا والآخرة.

ثمرات حب الرسول

مَنْ أَحَبَّ الشَّيْءَ أَكْثَرَ ذِكْرَهُ حُبُّكَ وَاللهِ قَدْ أَحْيَ الرِّمَمِ
يَا رَسُوْل اللهِ حُبُّكَ باعث لِلصَّلَوةِ وَ لِلنِّدَاءِ الْمُغْتَنَمِ
يَا رَسُوْل اللهِ حُبُّكَ فِي الْقُلُوْبِ طَعْمُ إِيْمَانٍ وَكَسَارُ الصَّنَمِ
يَا رَسُوْل اللهِ حُبُّكَ زَيْنُنَا فِي الْحَيَاةِ وَ الْمَمَاتِ وَمُخْتَتِمِ
يَا رَسُوْل اللهِ حُبُّكَ مَسْكُنُنَا رَوْضًا وَرِيَاضُنَا بِالْمُنْتَعِمِ
يَا رَسُوْل اللهِ حُبُّكَ دِيْنُنَا مَنْ يَّدِيْنُ الدِّيْنَ قَدْ قَالَ نَعَمْ
يَا رَسُوْل اللهِ أُقْسِمُ بِالْوَدُوْدِ إِنَّ حُبَّكَ دِيْنُنَا خَيْرُ الْقَسْمِ

(محمد عادل، ج: 1 ، ص 357)

حب النبي ﷺ يحمل في طياته فوائد عظيمة وثمرات جليلة تنعكس على قلب المؤمن وسلوكه وحياته. فمن أعظم ثمراته أنه دافع لذكره ﷺ باستمرار، إذ إن المحب لمن يحب ذاكر، وهذا المعنى مستوحى من قوله ﷺ: "المرء مع من أحب"("صحيح البخاري" بَاب حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْإِيمَانِ، رقم الحديث 15). كما أن حب النبي ﷺ يشحذ الهمم للعبادة والطاعة، فهو باعث على أداء الصلاة والذكر والدعاء، مستندًا إلى الحديث الشريف: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"("صحيح البخاري" بَاب حُبُّ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْإِيمَانِ، رقم الحديث 15)، مما يدل على أن الإيمان الكامل مرتبط بحب النبي ﷺ.

إضافة إلى ذلك، فإن حب النبي ﷺ هو سر تذوق حلاوة الإيمان، كما ورد في الحديث: "ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما"(عبد المحسن: "عشرون حديثا من صحيح البخاري دراسة اسانيدها وشرح متونها" ، شرح الحديث، ص 166) (متفق عليه). ويؤدي هذا الحب إلى تطهير القلوب من الشرك والمعاصي، إذ إن التعلق بالنبي ﷺ يجرد القلب من التعلق بغير الله. كما أنه زينةٌ للمؤمن في الدنيا والآخرة، حيث يكون هذا الحب سببًا في نيل شفاعته ﷺ يوم القيامة، مصداقًا لقوله ﷺ: "أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة"(الترمذي: ،"الجامع الصحيح سنن الترمذي رقم الحديث 484)

ومن ثمار هذا الحب أيضًا أنه يجلب السكينة والطمأنينة، فالمحب يجد راحته في ذكر الحبيب المصطفى ﷺ، وهذا ما تعكسه أقوال العلماء مثل الإمام الغزالي الذي قال: "من أكثر الصلاة على النبي ﷺ شرح الله صدره، وملأ قلبه بالسكينة". ويؤكد الشاعر في أبياته أن حب النبي ﷺ هو جوهر الدين، وأنه أفضل اختيار يمكن للإنسان أن يتمسك به.

فوائد شفاعة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة

يَا رَسُـوْل اللهِ قُـمْ وَ اشْـفَـعْ لَنَا فِي الْـحَيَوةِ وَالْـمَمَاتِ انْفَعْ لَنَا
أَنْتَ سَيِّدُنَا وَ مَـوْلَانَا الـشَّفِيْـعُ صَاحِبُ الْـمِعْرَاجُ وَالْـقَـدْرِ الـرَّفِيْعِ
يَا رَسُـوْل اللهِ أُنْـظُـرْ نَـظْـرَةً اِسْقِـنَا مِنْ بَحْرِ جُـوْدِكَ قَـطْرَةً
يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـا آئِـبُـوْنَ يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـا تَـائِـبُـوْنَ

(عبيد الله: "داستان معرفت" (مخطوط)، ص: 12)

بين الشاعر في أبياته فوائد متعددة لشفاعة النبي ﷺ، حيث يبرز دورها في إنقاذ المؤمنين في الدنيا والآخرة. فمن أعظم فوائد الشفاعة أنها وسيلة للنجاة يوم القيامة، كما جاء في حديث النبي ﷺ: "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي"("سنن أبي داؤد"، باب في الشفاعة، 4739). كما أن شفاعته تشمل رفع الدرجات في الجنة، إذ قال ﷺ: "أنا أول شفيع في الجنة"(ابن حبان، ج 14، ص 136). إضافة إلى ذلك، فإن شفاعة النبي ﷺ تعود بالنفع على الأمة في الدنيا، حيث إن التوسل به وطلب شفاعته سبب لرفع البلاء واستجابة الدعاء، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(سورة النساء: 64). كما أن ذكر النبي ﷺ والتوسل به من أسباب الطمأنينة وراحة القلوب، كما ورد في الأحاديث النبوية عن فضل الصلاة عليه ﷺ.

نداء واستغاثة برسول الله ﷺ

يَا رَسُـوْل اللهِ أُنْـظُـرْ حَالَنَا يَا رَسُـوْل اللهِ اِسْـمَعْ قَـالَـنَـا
يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـا هَـائِـمُونَ يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـا قَـائِـمُوْنَ

يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـا مُـؤْمِـنُـوْنَ يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـا مُـوْقِـنُوْنَ
يَا رَسُـوْل اللهِ اِسْـمَـعْ لِلْـفَـقِيْرِ يَا رَسُـوْل اللهِ أُنْـصُـرْ لِلضَّرِيْرِ
يَا رَسُـوْل اللهِ لِيْ أَنْتَ الْـمَـلَاذُ يَا رَسُـوْل اللهِ لِيْ أَنْتَ الْـمَعَاذُ
كُـنْتَ فِي الدُّنْيَا غِيَاثاً وَالْمَعَاذَ أَنْتَ فِي الْعُقْبَى لَنَا الْفَرَطُ الْمَلاَذُ

(عبيد الله، ص: 12)

في هذه الأبيات، يعبر الشاعر عن استغاثته بالنبي ﷺ وطلب العون منه، وهو مفهوم متجذر في التراث الإسلامي. فقد وصفه الله تعالى بأنه "رحمة للعالمين" في قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(سورة الأنبياء: 107)، مما يدل على أن النبي ﷺ مصدر شفاعة ورحمة لأمته. كما جاء في الحديث النبوي: "حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَتُحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ"(البزار: "مسند البزار" ، رقم الحديث 1925) مما يشير إلى استمرارية شفاعته ﷺ حتى بعد وفاته.

وقد أكد القرآن الكريم مشروعية التوسل به ﷺ، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾(سورة النساء: 64)، حيث يوضح أن الاستغفار مع التوسل بالنبي ﷺ سبب لنيل رحمة الله. عن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال" :ادع الله أن يعافيني"، فقال: "إن شئت دعوت، وإن شئت صبرت فهو خير لك"، قال: "فادعه"، قال: "فأمره أن يتوضأ، فيحسن وضوءه، فيصلي ركعتين، ويدعو بهذا الدعاء: "اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة، يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي هذه، فتُقضى لي، اللهم فشفعه فيّ." (الترمذي: "الجامع الصحيح سنن الترمذي"، كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 3578)

كما أشار العلماء إلى فضل التوسل بالنبي ﷺ، ومنهم الإمام النووي وابن كثير، حيث أكدوا على جواز ذلك، خاصة عند طلب الشفاعة يوم القيامة. وقد انعكس هذا المعنى في الشعر الصوفي، كما قال الإمام شرف الدين البوصيري (ت696ھ) في بردته:

يَا أَكْرَمَ الْخَلْقِ مَالِيْ مَنْ أَلُـوذُ بِهِ سِوَاكَ عِنْدَحُلُولِ الحَادِثِ العَمَمِ

(الجشتي: "ترجمة قصيدة البردة" ، ص 572)

مما يعبر عن اللجوء إلى النبي ﷺ في الأوقات العصيبة. تعكس هذه الأبيات إذن مدى تعلق المسلمين بنبيهم وثقتهم في شفاعته، وطلبهم للعون والفرج ببركته، بإذن الله.

الرد على منكري جمال النبي ﷺ

مُـنْكِـرُوْنَكَ عَـنْ جَـمَـالِكَ نَوْمٌ هُـمْ لَـنَا فِـيْ حُـبِّ وَحْـبِكَ لُـوّم

يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـهُـمْ نَـائِـمُـوْنَ يَا رَسُـوْل اللهِ إِنَّـهُـمْ لَاَئِـــمُوْنَ

(عبيد الله، ص: 14)

يرد الشاعر على منكري جمال النبي ﷺ بأنهم في غفلة تشبه النوم، فلا يرون عظمة نوره ولا يدركون كمال خلقته. يشير إلى أن محبتهم للوحي قاصرة، مما يدفعهم إلى اللوم والإنكار. هذا المفهوم مستمد من القرآن الكريم، حيث قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾(سورة المائدة: 15)، فالنبي ﷺ نورٌ يهدي القلوب، وإنكاره جهلٌ وضلال. كما جاء في الحديث الشريف عن جماله ﷺ: "كان النبي ﷺ أحْسَنَ الناسِ وَجْهاً، وأحْسَنَهُ خَلْقاً، ليس بالطويلِ البائنِ، ولا بالقصيرِ"(مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي"، رقم الحديث 1514). وأكد العلماء، مثل القاضي عياض في الشفا، أن جمال النبي ﷺ لم يكن مجرد هيئة بل مزيج من الجمال الروحي والجسدي، مما جعله موضع إجلال ومحبة عبر العصور.

إثبات جمال النبي ﷺ وإفحام المنكرين

يَا رَسُـوْل اللهِ أَخْـرِجْ عَنْ حِجَابٍ كَـيْ يَلُوْمُوْا أَنْـفُسَهُمْ يَذْرُوْا الْعِتَابَ

يَقْـطَـعُـوْا الْأَيْدِيَ وَيَنْتَبِـهُـوْا لِذَا بَعْدَ يَقْـظَـتِـهِمْ يَـقُـوْلُـوْا هَـكَـذَا

حَـاشَ للهِ فَـمَـا هَـــذَا بَـشَـرٌ إِنَّ مَـنْ أَيْـمَـــانُـهُ إِنْ شَـقَّ الْـقَمَرُ

كَـيْ نَقُـوْلَ ذَلِـكُـــمْ لُـمْـتُـمْ بِهِ لُـمْـتُـمُـوْنِـيْ فِيْهِ فَـشَغَفْتُم به

(عبيد الله، ص: 14)

يُبرز الشاعر في هذه الأبيات جمال النبي ﷺ الذي يفوق الوصف، ويفحِم المنكرين لحسنه الباهر. يشير إلى أن رؤية النبي ﷺ بوضوح تزيل كل شك، حتى إن من كانوا ينتقدونه سيُقرّون بجماله الأخّاذ ويعترفون بذنوبهم. يستلهم الشاعر هذا المعنى من قصة النساء اللاتي رأين يوسف عليه السلام فقطعن أيديهن من شدة جماله، كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾(سورة يوسف: 31). فإذا كان يوسف عليه السلام قد أدهش النساء بجماله، فإن النبي ﷺ أولى بذلك، إذ قال عنه الصحابة: "كان النبي ﷺ أحسن الناس وجهاً"("مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي"، رقم الحديث 1514). كما أن الشاعر يلمح إلى معجزة انشقاق القمر التي كانت بإشارة من النبي ﷺ، في إشارة إلى أن جماله ﷺ ليس بشريًا فحسب، بل تحيطه المعجزات والدلائل الإلهية. فالمعترضون الذين كانوا يلومون محبيه سرعان ما سيغرمون به إذا رأوه، مما يثبت أن إنكارهم لم يكن إلا عن جهل أو تعصب.

تفرد النبي ﷺ بروحه وجسده ومقامه العالي

أَنْتَ بَشَـرٌ مِـثْـلُـنَـا اِسْـــماً وَلا لَـنْ نُـمَـاثِلَكَ بِـوَحْـيٍ قَـــدْ أَتَى

لاَ نُمَـاثِـلُكَ بِـجِـسْـمٍ أَوْ بِـرُوْحٍ أَنْـتَ رُوْحٌ طَـيِّبٌ مِـنْكَ الْفُتُوْحُ
رُوْحُـكَ الْـعَـالِي بِـقُـرْبٍ مِّنْ إِلَهِ رُوْحُـنَا فِـي السُّفْلِ فِي طِيْنٍ وَمَاهِ
جِسْـمُكَ الْـمُوْضُوْعٌ وَ طَاعَـاتُهُ قَـدْ تَـشَـرَّفَ دَرَجَـةً بِـسِمَاتِـهِ
(عبيد الله، ص: 14)

يُبرز الشاعر في هذه الأبيات تفرد النبي ﷺ بروحه وجسده ومقامه الرفيع، موضحًا أنه وإن كان بشرًا من حيث الاسم، إلا أن الوحي الذي نزل عليه يجعله متفردًا عن بقية البشر. وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾(سورة الكهف: 110)، حيث يبين الفرق بين بشرية النبي ﷺ ووضعه الاستثنائي بسبب الوحي. كما أشار إلى طهارة روحه ﷺ وعظيم فتوحاته، وهو ما يتوافق مع قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾(سورة القلم: 4)، مما يدل على سموّ مكانته الأخلاقية والروحية. وأما عن جسده الشريف، فقد تشرّف حتى في موضعه وطاعاته، حيث جاء في الحديث الشريف: "إِنَّ اللَّهَ قد حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ"(سنن ابن ماجه" ،رقم الحديث 1085) ، مما يدل على خصوصيته الجسدية. كما أن قربه ﷺ من الله مقامٌ لا يدانيه أحد، وهو ما يُستدل عليه من معجزة الإسراء والمعراج، حيث بلغ ﴿قابَ قوسين أو أدنى﴾ (سورة النجم: 9). ومن هنا، فإن النبي ﷺ متفردٌ بجسده وروحه ومقامه، بما لا يمكن لبشر أن يماثله فيه.

محبة الصحابة للنبي ﷺ وتعظيمهم له

كَـانَتِ الْأَصْـحَابُ رِجْـلَكَ قَبَّـلُوْا إِذْ قَـدِمَـتْ مِنَ السَّفَـرِ إِذَا أَقْـبَلُوْا
قَـبَّـلُوْا لِـلْـيَدِ وَلِـلـرِّجْلاَ لِلطَـيف إِذْ قَـدِمَـتْ مِنَ الْـمَغَازِيْ يَا شَرِيْفُ
وَالْبُـزَاقَ الـنُّخَـامةَ وَالْـوُضُـوْ يَأْخُـذُوْنَ وَيَمْـسَحُـوْنَ فَـيَرْتَـضُوْا
قَبَّلَ وَجْـهَـكَ أَبُـوْبَـكْرٍ بِـمَـوْتٍ نَحْـوَ مَا قَبَّلْـتَ عُـثْـمَـاناً بِقـوت
(عبيد الله، ص: 17)

عبّر الشاعر في أبياته عن مدى محبة الصحابة للنبي ﷺ وتعظيمهم له، حيث كانوا يُظهرون احترامًا بالغًا له ﷺ، حتى أنهم كانوا يُقبّلون يديه وقدميه عند قدومه من السفر والمغازي، كما جاء في حديث وفد عبد القيس: "لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَجَعَلْنَا نَتَبَادَرُ مِنْ رَوَاحِلِنَا فَنُقَبِّلُ يَدَ النَّبِيِّ ﷺ وَرِجْلَهُ"(سنن أبي داود" ، دار الكتاب العربي ـ بيروت، عدد الأجزاء : 4، باب قُبْلَةِ الرِّجْلِ، رقم الحديث 5227). كما أن الصحابة كانوا يتبركون بآثاره ﷺ، حتى أنهم كانوا يتسابقون لأخذ بُصاقه ونخامته ويمسحون بها وجوههم، كما في حديث عروة بن مسعود: "فَوَاللَّهِ ما تَنَخَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نُخَامَةً إِلَّا وقَعَتْ في كَفِّ رَجُلٍ منهمْ، فَدَلَكَ بها وجْهَهُ وجِلْدَهُ، وإذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ علَى وَضُوئِهِ"(صحيح البخاري" ، بَاب الشُّرُوطِ فِي الْجِهَادِ وَالْمُصَالَحَةِ مَعَ أَهْلِ الْحَرْبِ وَكِتَابَةِ الشُّرُوط، رقم الحديث 2732). ومن صور محبتهم العميقة، أن أبا

بكر الصديق رضي الله عنه قبّل وجه النبي ﷺ بعد وفاته قائلًا: «بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا» يا رسول الله(أبو داود: "سنن أبي داود" ، بَابُ مَا جَاءَ فِي غُسْلِ الْمَيِّتِ ،رقم الحديث 415). كما أن عثمان بن عفان رضي الله عنه قبّل يد النبي ﷺ تعظيمًا له. كل هذه المواقف تدل على أن الصحابة رأوا في النبي ﷺ مصدر البركة والقدوة العظمى، وكانوا يعبرون عن محبتهم له ﷺ بأفعالهم وأقوالهم، تعظيمًا وتوقيرًا لا مثيل له.

رؤية الرسول في المنام

مَنْ رَآكَ فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآكَ لَيْسَ شَيْطَانُ يُخَادِعُ مَنْ يَّرَاكَ
أَنْتَ حَيٌّ بِالْحَيَوةِ الْبَاقِيَةِ مَيِّتٌ عَنْ دَارِ دُنْيَا فَانِيَةِ
(عبيد الله، ص: 17)

عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: «من رآني في المنام فَسَيَرَانِي في اليَقظة –أو كأنما رآني في الْيَقَظَةِ– لا يَتَمَثَّلُ الشيطان بي». ("صحيح البخاري" ، رقم الحديث ٧٠٧٩)

توقير النبي ﷺ والتبرك بآثاره

لو رأينا جسمك العالي الشريف في الحيوة لِاشتَمَمْنا يا لطيف
بل سجدنا الله شكراً للقاء أنت مولنا و خير المنتقى
أنت عبدُ الله حقاً يا رسول الله نحن آمناً ولسنا كالجهول
إن رأينا ترب قبرك يا نبى لِاشتَمَمْناه و قبّلْنا بِفي
(عبيد الله، ص: 17)

يعبّر الشاعر في هذه الأبيات عن توقير النبي ﷺ والتبرك بآثاره، وهو مفهوم راسخ في تعاليم الإسلام وتراثه. فقد كان الصحابة رضي الله عنهم يعظمون النبي ﷺ في حياته وبعد وفاته، كما ورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: «ما شممت عنبرًا قط، ولا مسكًا، ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ» (مسلم: "المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم" ، رقم الحديث 2330). وجاء في الحديث «أن أم سلمة رضي الله عنها بِقَدَحٍ مِنْ ماءٍ –وَقَبَضَ إسْرائِيلُ ثلاثَ أَصابعَ – مِنْ فِضَّةٍ فيه شَعَرٌ مِنْ شَعَرِ النبيِّ ﷺ، وَكَانَ إذا أَصابَ الإِنسانَ عَيْنٌ أَوْ شَيْءٌ بَعَثَ إِلَيْها مِخْضَبَهُ. فَاطَّلَعْتُ في الجُلْجُلِ فَرأَيْتُ شَعَراتٍ حُمْراً» (الألباني: "مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي"، باب مَا يُذْكَرُ في الشَّيْبِ، رقم الحديث 2288). وقد ثبت أن الصحابة كانوا يتبركون بآثاره، كأخذ ماء وضوئه ﷺ ومسح أجسادهم به.

كما عبّر الشعراء الصوفيون عن هذا التوقير، مثل البوصيري في البردة حين قال: "فمبلغ العلم فيه أنه بشرٌ / وأنه خير خلق الله كلهم". وظهر هذا المعنى جليًا فيما رُوي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال: "قدم علينا أعرابي بعدما دفنا رسول الله ﷺ بثلاثة أيام، فرمى بنفسه على قبره وحثا من ترابه على رأسه ثم قال:

يا خيرَ مَنْ دُفنتْ بالقاع أعظُمُه فطابَ من طيبهنَّ القاعُ والأكمُ

نفسي الفداءُ لقبرٍ أنتَ ساكنُهُ فيه العفافُ و فيه الجودُ والكرمُ

(ابن كثير: "تفسير القرآن العظيم"، ص 348)

كما روي عن علي رضي الله تعالى عنه قال: لما رمس رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت فاطمة رضي الله تعالى عنها فوقفت على قبره صلى الله عليه وسلم وأخذت قبضة من تراب القبر ووضعت على عينيها وبكت(ابن الجوزي في " الوفاء " وابن سيد الناس في السيرة النبوية 2 ص 34)

النهي عن عبادة القبور والغلو في مدح النبي ﷺ

نحن لم نعبد ولم نسجد له بل عبدنا الله وسجدنا له

قد نهيتَ الخلقَ عن جعْل القبور مسجداً أو معبداً ذاك الغرور

قلت حقاً يا نبي الله ذا لا تصلّوا نحوقبرٍولاتجلسواأيضاًعليهاوانتهوا

اليهودوالنصارى اتّخذوامسجداًللقبر لعن الله لهم لاتكونوامثلهم أنهلكم

نحن لا نغْلوا ولا نُطرى بمدح لونخالفُك لكان ذاك قدَح

لا نقول فيك إلا قول حقّ أنت عبدالله حقا لا نَدَق

(عبيد الله، ص: 21)

يبين الشاعر في أبياته النهي عن عبادة القبور والغلو في مدح النبي ﷺ، مستندًا إلى تعاليم الإسلام التي تحذر من ذلك. فقد قال النبي ﷺ: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"(صحيح البخاري" ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، رقم الحديث 1390)مما يدل على تحريم تحويل القبور إلى أماكن للعبادة. كما جاء عنه ﷺ: "ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك"(الرُّوياني: "مسند الروياني"، المحقق: أيمن علي أبو يماني، مؤسسة قرطبة – القاهرة، الطبعة الأولى، 1416، عدد الأجزاء: 2، ج 2 ، ص 142.) وهو نهي صريح عن السجود أو الصلاة عند القبور، لما قد يؤدي إليه من الشرك.

ويؤكد الشاعر أن العبادة والسجود لا يكونان إلا لله وحده، مستدلًا بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(القرآن الكريم، سورة الجن: 18). كما يحذر من الغلو في مدح النبي ﷺ، مشيرًا إلى قوله: "لا تطروني

كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا عبد الله ورسوله"(البخاري: "صحيح البخاري" ، بَابُ من تنتظر حتى تدفن، رقم الحديث 3445). ومع ذلك، فقد أقر النبي ﷺ بزيارة القبور للعظة والاعتبار، حيث قال: "نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها"("سنن أبي داؤد"، باب فِي زِيَارَةِ الْقُبُورِ، رقم الحديث 3237) ، مما يوضح الفرق بين الزيارة المشروعة والتقديس المنهي عنه.

وبذلك تعكس الأبيات وسطية الإسلام في تعظيم النبي ﷺ دون إفراط، وتؤكد وجوب الالتزام بتوحيد العبادة وعدم تجاوز حدود الشريعة.

مكانة النبي ﷺ وكونه المطلوب والمقصود

أنت مولنا رسول مصطفى أنت سيدنا نبيٌّ مجتبى
أنت مطلوب و مقصودنا أنت كافيا وحبك ديننا
(عبيد الله، ص: 21)

يبين الشاعر في هذه الأبيات مكانة النبي ﷺ وكونه المطلوب والمقصود، فهو سيد الخلق والمصطفى من الله، كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(سورة الشرح: 4)، مما يدل على علو منزلته ﷺ. كما أنه المقصود في التوسل والشفاعة، حيث جاء في الحديث: "أنا سيد ولد آدم ولا فخر"(ابن ماجة: "سنن ابن ماجه"، باب ذكر الشفاعة، رقم الحديث 4308) مما يؤكد مكانته العظيمة. كذلك، يُعد النبي ﷺ كافيًا لأمته، فهو الرحمة المهداة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(سورة الأنبياء: 107).

نور ليلة البراءة وسيرة الأبرار

جَاء لَيْلُ الْبَرَاتِ فِي الْأَنْوَارِ حَصِّلُوْا فِيْهِ سِيْرَةَ الْأَبْرَارِ
رَبِّ أَتْمِمْ أُمُرَنَا بِالْخَيْرِ وَقِنَا رَبَّنَا عَذَابَ النَّارِ
(محمد عادل، ج: 1 ، ص: 382)

مصابيح عبيديه

شمس الضحى بدرالدجى نورالهدى خيرالورى بحرالندى كان سخا يامصطفى يامجتبى
هم أبو بكر وعمر وعثمان هم علي و عليهم الرضوان
(عبيد الله: "داستان معرفت" ، ص: 21.)

الشعر الذي يوجد فيه الصدر باللغة العربية. وأنشد عبيدالله

لا آدم في الكون ولا إبليس لا ملك سليمان نه هد هد نه سبا
مرسل ومرسل مرسول إليه جمله يك ذات او ما همه اوست

هـم حـسن هـم حسين وهم أزواج هم كى أهل بيت جمله خداج
مظهرُكلماتِ حق هم ناصر دين إله قاطع جمله علائق سالكان را شمع راه

(عبيد الله: "داستان معرفت" ، ص: 2.)

خاتمة البحث

يتناول هذا البحث الشعر الصوفي عند خواجة عبيد الله الملتاني من منظور تحليلي موضوعي، حيث استعرضنا المضامين الفكرية والروحية التي تميزت بها أشعاره. يكشف التحليل عن أن شعره يمثل مزيجًا متكاملًا بين التجربة الصوفية العميقة والتعبير الأدبي الرفيع، مما يعكس تفاعله مع البيئة الدينية والثقافية لعصره.

تميّزت أشعاره بتجسيد معاني الحب الإلهي والفناء في الذات الإلهية، مع التركيز على مفاهيم التوحيد، والزهد، والمعرفة الباطنية. وقد استخدم رموزًا صوفية مكثفة، تعكس فلسفته الروحية العميقة التي تتماشى مع تقاليد الشعر الصوفي في العالم الإسلامي. كما تبرز في أشعاره النزعة التعليمية والتوجيهية، إذ لم يكن شعره مجرد تعبير عن وجد صوفي، بل كان يحمل في طياته دروسًا روحية تدعو السالك إلى تهذيب النفس والارتقاء بالروح.

ويمكن القول إن خواجة عبيد الله الملتاني أبدع في توظيف الأدب والشعر كوسيلة لنقل الأفكار الصوفية، مما ساهم في انتشار فكره وتأثيره في الأجيال اللاحقة. ومن خلال دراستنا، يتضح أن شعره لا يزال يحتفظ بقيمته الأدبية والصوفية، مما يستدعي مزيدًا من البحث لاستكشاف تأثيره في تطور الأدب الصوفي.

النتائج

- الخصائص الصوفية في شعر خواجة عبيدالله الملتاني: تكشف الدراسة عن تجليات العشق الإلهي، والزهد، والتوجه الروحي العميق في شعره، حيث يستخدم رموزًا واستعارات تعكس تجربته الصوفية الفريدة.
- التأثيرات الفكرية والثقافية: يظهر تأثره بالمدارس الصوفية الكبرى في العالم الإسلامي، خاصةً الفكر الجيلاني والشطاري، مما أضفى على شعره بعدًا روحانيًا عالميًا يتجاوز حدوده الجغرافية.
- اللغة والأسلوب: يمتاز شعره بجزالة الألفاظ وعمق المعاني، مع توظيف الرمزية الصوفية بطريقة تجمع بين البساطة والعمق، مما يجعله سهل الفهم لعامة الناس ولكنه غني بالدلالات لأهل التصوف.
- الأغراض الشعرية: تتنوع موضوعاته بين مدح الأولياء، والتوسل، والحكمة، والوجد الصوفي، مما يؤكد دوره في نشر الفكر الصوفي عبر الأدب الشعري.
- أثره في الشعر الصوفي اللاحق: ترك خواجة عبيدالله الملتاني بصمة واضحة على الشعر الصوفي في المنطقة، حيث تأثر به العديد من الشعراء الذين ساروا على نهجه في التعبير عن التجربة الصوفية.

التوصيات والاقترحات

1. توسيع نطاق الدراسة – يُوصى للباحثين المستقبليين بدراسة الشعر الصوفي لخوجه عبيد الله الملتاني في ضوء المقارنة مع شعراء صوفيين آخرين من نفس الفترة أو من مناطق مختلفة، مما يُسهم في فهم أعمق للتجربة الصوفية الشعرية في سياقات متعددة.
2. تحليل الأساليب البلاغية والصور الفنية – يمكن للباحثين مستقبلاً التعمق في تحليل البلاغة والأسلوب الشعري عند خوجه عبيد الله الملتاني، مع التركيز على الرمزية والتراكيب اللغوية التي استخدمها في التعبير عن التجربة الروحية.
3. دراسة التأثيرات الفلسفية والفكرية – يُنصح بإجراء دراسات تسلط الضوء على الأثر الفلسفي والفكري في شعره، وعلاقته بالتصوف الإسلامي والمدارس الفلسفية التي تأثر بها، مما يعزز فهم أبعاد النصوص الصوفية.
4. تحقيق المخطوطات ودراسة النصوص غير المنشورة – يمكن للباحثين البحث عن المخطوطات الشعرية غير المنشورة لخوجه عبيد الله الملتاني، وتحقيقها ودراستها، مما يساهم في إحياء التراث الأدبي الصوفي المجهول.
5. البعد المقارن بين الشعر الصوفي الفارسي والعربي – يُنصح بإجراء دراسات مقارنة بين شعر الملتاني والشعراء الصوفيين الفرس، مثل جلال الدين الرومي وحافظ الشيرازي، لاستكشاف أوجه التشابه والاختلاف في الأسلوب والمضمون الصوفي.

مصادر و مراجع

١. أبو داؤد (ت٢٧٥هـ): "سنن أبي داؤد"، دار الكتاب العربي ـ بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1421هـ.

٢ .أحمد بن حنبل (ت241هـ): "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421هـ - 2001م.

٤ .الألباني (ت1420هـ): "مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِي"، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002م.

٥ .البخاري (ت256هـ): "صحيح البخاري"، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى، 1422هـ.

٦ .البزار (ت292هـ): "مسند البزار"، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية، 1925م.

٧ .البهتي: "الثقافة العربية في باكستان"، جامعة بنجاب، لاهور

٨ .الجاحظ: "كتاب الحيوان"، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، 1424هـ.

٩ .الجشتي: "ترجمة قصيدة البردة"، پروگريسو بكس، لاهور، 2014م.

١٠ .الجوارنه: "المعارك الإسلامية في الهند"، جامعة اليرموك – الأردن، 2010م.

١١ .الحسني (ت1341هـ): "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، دار النشر: دار ابن حزم - بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، عدد الأجزاء: ٨.

١٢ .الدارمي (ت280هـ): "سنن الدارمي"، دار الكتاب العربي – بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1407هـ.

١٣ .الطرازي (ت1977م): "موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب"، عالم المعرفة، جدة، السعودية، 1983م،.

١٤ .عبيد الله الملتاني(ت1305هـ): "داستان معرفت" (مخطوط) بدون التاريخ.

١٦ .عُبيد الله الملتاني(ت1305هـ): "سرِّ دلبران"، مترجم: ميان عبد الباقي، مكتبة فيضان سنت، ملتان،2014م.

١٧ .: http://appkiawaz.blogspot.com/2013/01/blog-post_20.html (dated: 06.12.2013)

١٨ .الفريدي: "تاريخ ملتان"، قصر الأدب، ملتان، 1977م،

١٩ .القسطلاني (ت923هـ): "المواهب اللدنية بالمنح المحمدية" ، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، الطبعة الأولى 1441هـ.

٢٠ .المقدسي (ت380هـ): "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم"، مكتبة خياط، بيروت، 1409هـ.

٢١ .ابن أبي شيبة (ت235هـ): "مسند ابن أبي شيبة"، المحقق: عادل بن يوسف العزازي و أحمد بن فريد المزيدي، دار الوطن – الرياض، الطبعة الأولى، 1997م.

٢٢ .ابن الجوزي (ت597هـ): "الوفاء بأحوال المصطفى" ، تحقيق مصطفى عبد الواحد – القاهرة ، 1386هـ.

٢٣ .ابن حبان (ت354هـ): "الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

٢٤ .ابن رسته (ت300هـ): "كتاب الأعلاق النفيسة"، دار بريل، ليدن، 1891م.

٢٥ .ابن كثير (ت774هـ): "تفسير القرآن العظيم"، دارطيبة للنشر والتوزيع السعودية، الطبعة الثانية 1420هـ - 1999م.

٢٦ .ابن ماجة (ت273هـ): "سنن ابن ماجه"، دار الرسالة العالمية، القاهرة مصر، الطبعة الأولى، 1430هـ - 2009م.

٢٧ .جميل: "حركة التأليف باللغة العربية في الإقليم الشمالي الهندي"، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، جمهورية مصر العربية، 1977م.

٢٨ .الدارمي (ت255هـ): "سنن الدارمي"، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ - ٢٠٠٠ م، عدد الأجزاء: ٤.

٢٩ .عبد الحي الحسني (ت1341هـ): "نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر"، طيب أكادمي، ملتان، 1412هـ / 1991م.

٣٠ .عبد المحسن: "عشرون حديثاً من صحيح البخاري"، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، 1409هـ.

٣١ .محمد عادل: "عباد الرحمن"، خواجة تيكس، خواجة آباد، ملتان، 1999م.

٣٢ .مسلم (ت261هـ): "المسند الصحيح"، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1416هـ.

٣٣ .الندوي (1420هـ): "المدائح النبوية في الهند"، مهد الدراسات الإسلامية، الهند، الطبعة الأولى 2007م.

٣٤ .الندوي (1420هـ): "تاريخ سندھ"، دار النشر: نيشنل بك فاؤنديشن، إسلام آباد، 1989م.

٣٥ .الرُّوياني (ت307هـ): "مسند الروياني"، مؤسسة قرطبة – القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 1416هـ.

٣٦ .الترمذي (ت279هـ): "الجامع الصحيح"، دار إحياء التراث العربي – بيروت، 1419هـ.